ترنيمات وتر



مصطفى الزّايد

شعر

مصطفى الزّايد

ترنيمات وتر

شعر

لوحة الغلاف : هديّة من الفنان جميل بيرم
الخطوط والإخراج : عبد الجليل عليّان

الطّبعة الأولى
١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م

طبع من هذا الكتاب ٢٠٠٠ نسخة

في مطبعة دار عكرمة بدمشق

بسم الله الرحمن الرحيم

بطاقة شكر

إلى كلّ يد مساعدة امتدّت لي
مساهمة في إخراج هذه الباقة إلى النّور
وأخصّ بالذكر ابن عمّي مروان النّعيم
والأستاذ الأديب مصطفى عكرمة
والعاملين في دار عكرمة للطّباعة والنّشر
وأصدقاء آخرين لا يسعني ذكرهم منّي جميعاً
جزيل الشّكر .



إنَّ الشُّمُوعَ لِكَيْ تُضِيْءَ لِغَيْرِهَا
يَلْقَى الفَنَاءَ بِجَذْوَةِ الإشْعَالِ
كُنْ مِثْلَهَا ، مَاهَمَّهَا إِحْرَاقُهَا
مَادَامَ يَحْبُو غَيْرَهَا بِنَوَالِ
أَعْطَتْ لِمُصْلِيهَا الضِّيَاءَ فَأَصْبَحَتْ
لِتَجَاهُلِ الأَحْقَادِ خَيْرَ مِثَالِ

الإهداء

هذه أوّل زهرة في بستاني
تعانق ضوء الشّمس
أضعها بين يديّ النّسيم ليحمل عبيرها
إلى كلّ الّذين يعيشون في قلبي ..

مصطفى

إلى :

واحة الأمل في دنيا الحب

؟

كُلُّ العُيُونِ بِهَا مِحْرَابُ عَاشِقِهَا
إلَّا عيونكِ .. فِيهَا كَعْبَةُ النَّظَرِ

يَلَذُّ لِيَ الموتُ في حُبِّهِ
يُعانِقُ خنجرُهُ أعْظُمِي
فأهلاً بموْتي إذْ نصلُهُ
بِصَدْرِيَ وَجِيدِيَ علَى المِعْصَمِ
وَمَا الموْتُ إلاّ بِحَدِّ السُّيُوفِ
أوْ طَرْفِ حسْناءَ لمْ تُلْثَمِ



يَكْفِي فإنَّكَ كُنتَ المُرَّ في قدَرِي
أحْلاكَ فرّقَ بَيْنَ الجفْنِ والرّقَدِ
عُذْراً حَبيبِي .. ليسَ الكُفْرُ مِنْ شِيَمِي
لكِنَّ حُبَّكَ قدْ أعْيَا علَى جَلَدِي

حُدود

تتألهين وترقبين على المدى
وهم الحدود بكل عين صدود
في الحب حدي ينتهي حيث انتهى
أملي وحبي في فضاء وجودي
لم يلمس الظمأ الذي في داخلي
في اللانهاية ما ترين .. فعودي
« إلزم حدودك » قلتها .. فتراجعي
أنا مذ عرفتك قد محوت حدودي



قبل الوداع

نَوْحُ الجِرَاحِ طَغَى عَلَى أَبْيَاتِي
فَتَرَحَّلَتْ إِثْرَ الدُّمُوعِ حَيَاتِي
مَهْلاً .. كَفَانِي المُهْلُ يَقْتُلُ أَحْرُفِي
وَيَمُدُّهَا أَرْضاً تَدُوسُ فُتَاتِي
الحَرْفُ نِصْفِي ، فَهْوَ صَوْتُ مَشَاعِرِي
فَإِلاَمَ أُسْكِتُ حَيْثُ دُسْتُ بِذَاتِي



قَدْ كَانَ لِي أَمَلٌ يَذُوبُ تَلَهُّفاً
عِنْدَ اعْتِنَاقِ لَوَاهِبِ البَسَمَاتِ

وَيَمُوتُ فَوْقَ الثَّغْرِ طَيْفُ تَبَسُّمِ
قَبْلَ الطُّمُوحِ لِرَائِعِ القُبُلَاتِ
وَيَثُورُ مِنْ أَلَقِ العُيُونِ وَيَخْتَفِي
لِيَعُودَ رُوحًا يَرْتَدِي آهَاتِي
ثَوْبًا مِنَ الآلَامِ لَيْسَ مُلَوَّنًا
هٰذِي جِرَاحِيَ لَوْ تَنَزَّعَاتِي



آهٍ فَتَاتِي .. لَمْ يَعُدْ لِطُفُولَتِي
فِي الحُبِّ صَدْرٌ يَحْتَوِي مَأْسَاتِي
تَأْبَى الجِرَاحُ بِخَافِقِي أَنْ تَنْحَنِي
غُصْنًا أَمَامَ لَوَاعِبِ النَّسَمَاتِ
وَالعُذْرُ مَا لِلعُذْرِ يَخْجَلُ أَنْ يَرَى
قُدْسَ الشِّفَاهِ يُحَاصِرُ الكَلِمَاتِ
وَالصَّمْتُ فِي عَيْنَيْكِ يَفْضَحُ رَغْبَةً
حَيْرَى تُمَزِّقُ سَاهِمَ النَّظَرَاتِ

زَحْفُ خُطَى السُّؤَالِ مُعَرْبِدٌ
في نَظْرَةِ المحْزُونِ وَاللَّفَتَاتِ
لا لا تَهُزِّي الرَّأْسَ .. شُقِّي خَافِقِي
وَخُذِي الجَوابَ بِحُمْرَةِ الصَّفَحَاتِ
وَاسْتَنْشِدِي طَرْفِي عَنِ اللَّوْنِ الذي
أَلْقَاهُ كُحْلُكِ فَوْقَ كُلِّ فَتَاةِ



حَيْرَى عَلَى البُرْكَانِ تَصْنَعُ بَسْمَةً
شَفَتَايَ عِنْدَ تَأَلُّهِ الأَصْوَاتِ
أَلَمٌ مَرِيرٌ أَسْتَسِيغُ كُؤُوسَهُ
عَجَباً لجُرْحِي كَيْفَ سَاغَ أَنَاتِي
وَأَنَا الذي أَدَعُ الكُؤُوسَ تَرَفُّعاً
مَلأَى يُنَادِمُ طَيْفُهَا دَمَعَاتِي
وَأَسِيرُ فَوْقَ الجَمْرِ أَنْزِفُ لَوْعَةً
كَادَتْ تَذِلُّ لِمَاجِنِ الرَّغَبَاتِ

أَقْسَمْتُ أَلْفاً حَيْثُ يَكْفِي شَاهِدِي
كَذَّبْتَ مَا أَدْلَتْ بِهِ قَسَمَاتِي
حُلُمُ الفُؤَادِ صَدىً لِبِضْعَةِ أَسْطُرٍ
فِي النَّفْسِ يُخْمِدُ لاهِبَ الحَسَرَاتِ
مَزَّقْتُهَا نَدَماً تَرَاكَ كَتَبْتَهَا
كَذِباً أَغُصُّ بِهَا بِيَوْمِ مَمَاتِي
مَا كَانَ شَيْطَاناً وَإِنْ أَسْبَبْتُهُ
لَكِنَّهُ عَهْدِي الثَّقِيلُ فَتَاتِي
فَخُذِيهِ عِتْقاً لَسْتُ أَقْبَلُ مُرْهَناً
إِلاَّ هَوىً يَسْمُو عَنِ النَّزَوَاتِ



اليَوْمَ مَاتَ الحُبُّ وَانْتَحَرَ الهَوَى
وَتَمَرَّدَتْ فِي دَاخِلِي صَرَخَاتِي
وَتَمَزَّقَتْ حُجُبُ الرَّجَاءِ وَأَشْعَلَتْ
نِيرَانُ يَأْسِي دَفْقَةَ الخَلَجَاتِ

وَتَمَايَلَ الكَوْنُ البهيمُ ترنُّحًا
قَبلَ الوَداعِ كسكرةِ الأمواتِ
فأتيتُ قبلَ الموتِ أدفنُ خافقي
حيثُ الجراحُ وروعةُ الرَّعشاتِ

حيثُ التقيتُ بنسمةِ الرُّوحِ التي
أعطتهُ يومًا نفحةَ الخفقاتِ
وغداً أسافرُ والعهودُ بمعصمي
قد يحجمُ صرخةَ اللذَّاتِ
وغداً فتاتي تقرأينَ مشاعري
بينَ السُّطورِ بنازفِ الكلماتِ

فتقبِّلينَ على الدفاترِ أحرُفي
وستسجدينَ هناكَ عندَ رُفاتي
وستوقدينَ القلبَ حتَّى تنفدَ النِّـ
ـيرانُ من شفتيكِ والوجناتِ

وَسَتَكفُرِينَ بِذا التَّأَلُّهِ عِندَمَا
تقفين في صِدقٍ لدَى المِـرآةِ
وَتَظَلُّ ذِكرانا بِعُمْرِكِ غُصَّةً
طيفاً يُمِيتُ وِلادَةَ البَسَماتِ
وَسَتَلتَقِينَ بكلِّ لحظٍ مُقلتي
فإنِ استطعتِ تجاوزي نظراتي
وَبِكلِّ حَرفٍ تقرأينَ سَنَلتَقي
فبكلِّ حرفٍ صُورَةٌ مِن ذاتي
إنِّي أنا الماضِي .. سَيَبقى لي صَدَىً
فعلى ضَمِيرِكِ قد تركت سِماتي
الكحلُ .. لونُ الثَّوبِ .. عِطرُكِ .. كلُّها
سَتَشِفُّ عَنْ ذَوقِي وَعَنْ نَزَواتي
حَتَّى حَدِيثُكِ .. بَلْ حَيَاتُكِ كلها
حُفِرَتْ على جُدرانها بصماتي

أينَ المفرُّ وكُلُّ شيءٍ بيننا
شربَ الخلودَ من الهوى ودواتي
وعلى يديكِ وفي عيونكِ لم يزلْ
منْ وهجِ شريانِي شذى القطراتِ
وأنا .. أنا البستانُ بعدكِ أنهري
غارتْ ونارُكِ أحرقتْ نخلاتي
فتجاهلتْ أُفقي الطيورُ ولم يعُدْ
ذاكَ الفراشُ يرفُّ في واحاتي
إلاكِ أنتِ بكلِّ حُلمٍ دامعٍ
ورنينِ ذكرى يزرعُ الآهاتِ
تتغلغلينَ كخنجرٍ في أضلعي
حلوِ الحسيسِ .. مُحبَّبِ الطعناتِ
منْ خاضَ مثلي الجرحَ يلثمُ خنجراً
في صدرِهِ ويقولُ « أنتَ حياتي »
يا نفحةَ الروحِ التي فارقتني
أنا لمْ أمُتْ .. وهُنا .. هُنا مأساتي

في الميادين ١٩٩١ م .

تصوّف

كفاني منكِ ذكرى أنْ تكوني
بصدري حسرةً تغشى فؤادي
كفاني أنْ أرى الأيّامَ بيضاً
عليكِ وإنْ أتتني في سوادِ
وحسبي أنْ تمرّي فوقَ جفني
بأحلامي، بصحوي أوْ رقادي
مرورَ الطّيفِ مرّي في خيالي
كغيمِ القحطِ إنْ عبرَ البوادي

الضمير في سنة ١٩٨٦ م.



(إِنْ يَقْتُلُوكَ فَإِنَّ قَتْلَكَ لَمْ يَكُنْ
عَاراً عَلَيْكَ، وَبَعْضُ قَتْلٍ عَارُ)

(ثابت قطنة)

إلى :

كل سليمان خاطر

داخل وخارج

فلسطين

لن تموت

عدنان

أخوفُ فراقِ عيشٍ ذي هوانِ
لبئسَ الموتُ يا عيشَ الجبانِ
يمدُّ إلى زمانِ القهرِ كفّاً
ويستجديهِ عمراً كالثواني
ولو في الدهرِ إنصافٌ وعدلٌ
لكانَ فؤادُهُ غِمدَ اليماني
فشُلّتْ كفُّ مَنْ يبتاعُ مجداً
تُزيّفُهُ زبانيةُ الأوانِ
ويكتبُ مِنْ دمِ الشُّهداءِ حَرفاً
يُمجِّدُ فيهِ خنجرَ كلِّ جانِ
ويجعلُ مِنْ مشاعرِهِ مطايا
ليطفو بينَ ذا الزَّبدِ المُهانِ

وما الإنسان إلّا ما تجلّى
بموقفه المقيّد باللّسانِ
وقام برغم من خذلوه سيفاً
وعاد بمجده والثّوب قانِ
فخذ بالموت عمراً سرمديّاً..
وعش فرداً بذاكرة الزّمانِ
فيومك كان مصرع كلّ حرّ
ومؤتة، بل وعاشوراء ثانِ

دمشق ٤ حزيران ١٩٨٦ م.



عتاب عربيّ

فُؤادُ العُربِ مُنتَفِضٌ فهلّا
أجَبنا إذْ تُنادينا ، نِداها

فَتَاةُ زِبَطْرَةَ الْجُرْحُ الْمُنَادِي
بِيَافَا ،، وَاعُرُوبَتُه .. وَافَتَاهَا
فَسَيْفُ الْكُفْرِ فِي أَيْدِي قُسَاةٍ
وَسَوْطُ الآثِمِينَ مُمَزِّقَاهَا
فَأَيْنَ ابْنُ الرَّشِيدِ الْيَوْمَ مِنْهَا
وَكُلُّ الْعُرْبِ مُعْتَصِمٌ يَرَاهَا
لِمَاذَا لَا نَقُولُ لَهَا: أَتَيْنَا
نُدِيرُ لِحَرْبِ ذِي قَارٍ رَحَاهَا؟
نُجَدِّدُ مَجْدَ مَنْ سَبَقُوا بِبَدْرٍ
وَفِي حِطِّينَ مَنْ مَنَعُوا حِمَاهَا
وَنُضْرِمُ نَارَ تِشْرِينٍ وَنُلْقِي
عَلَى صُهْيُونَ جَمْراً مِنْ لَظَاهَا
إِلَامَ سُكُوتُنَا يَاعُرْبُ عَنْهَا
وَثَوْرَتُنَا لَنَا امْتَدَّتْ يَدَاهَا

لَقَدْ فُتِحَتْ لَنَا أبْوَابُ حَقٍّ
خَفَضْنَا مُنْذُ أَنْ ضَاعَ الجِبَاهَا
فَهَلْ يُرْضِي ضَمِيرَكُمُ التَّغَاضِي
وَهَلْ يُرْضِي سُكُوتُكُمُ الإِلٰهَا ؟!



أَفِقْ يَا يَعْرُبِيُّ .. كَفَاكَ نَوْمًا
لِتَكْشِفَ عَنْ بِلَادِكَ مَا اعْتَرَاهَا
جِرَاحُ القُدْسِ ، وَيْحَكَ ، نَازِفَاتٌ
فَكَيْفَ تَلَذُّ عَيْنُكَ فِي كَرَاهَا
أَتَهْتِفُ مِلْءَ صَوْتِكَ : تِلْكَ أَرْضِي
وَلَا تَرْوِي إِذَا عَطِشَتْ ظَمَاهَا ؟!
أَتَحْسَبُ أَنْ سَتَبْكِيكَ البَوَاكِي
إِذَا نَالَتْ عَدُوَّتُنَا مُنَاهَا

أَمَا مِنْ أُسْوَةٍ لَكَ في صَغِيرٍ
يُقَاوِمُ بِالحِجَارَةِ مَا دَهَاهَا
مِنَ الشَّجَرِ البَنَادِقَ يَنْتَقِيهَا
وَيَتَّخِذُ القَذَائِفَ مِنْ ثَرَاهَا
فَدَتْكَ النَّفْسُ يَا طِفْلَ المَعَالِي
وَيَا نُورًا تَوَلَّدَ مِنْ سَنَاهَا
لَعَمْرِي أَنْتَ لِلأَبْطَالِ رَمْزٌ
وَمَعْنًى لِلرُّجُولَةِ لا يُضَاهَى
فَإِنْ تَكُ أَرْضُنَا طَلَبَتْ رِجَالاً
فَإِنَّكَ نِعْمَ مَنْ لَبَّى نِدَاهَا
رَمَيْتَ حِجَارَةً فَصَنَعْتَ فَجْرًا
(كَفَاكَ الفَخْرُ أَنَّكَ مَنْ بَدَاهَا)

الضمير ٤ نيسان سنة ١٩٨٧ م.

صرخة عربية

عربيةٌ في القدسِ كلّمَ كفَّها
رميُ الحجارةِ في وجوهِ الظُّلَّمِ

صَرَخَتْ وَدَمعُ العَينِ يَغسلُ خَدَّهَا

مِن لَطمةِ الجَلّادِ دونَ تَلَعثُمِ:

يَا أيُّها اللَّيلُ الّذي قَد لَفَّني

بِظَلامِهِ أَبْشِرْ فَلَسْتَ بِدائِمِ

مَا أنْتَ إلَّا مِن جَهامٍ عَارِضٍ

غَطّى جَبينَ الشَّمسِ عَنِّي أسحَمِ

سَيُزِيلُكَ الإعصارُ عِندَ هُبُوبِهِ

مِن بَيْنِ نِيلي وَالفُراتِ الأَعْظَمِ

وَمِنَ المُحيطِ إلى الخَليجِ لِنَجْدَتي

سَيَهُبُّ أَبْنَاءُ الأَبِيِّ الضَّيْغَمِ

أَبْنَاءُ حَمْزَةَ وَالزُّبيرِ وَخَالِدٍ

مَنْ فَاقَ مَجْدُهُمُ بَعِيدَ الأَنْجُمِ

دَانَتْ لَهُمْ أَرْضٌ تَكادُ شُمُوسُهَا

يَطْوي الأَصَابعَ عَدُّهَا لَمْ يُخْتَمِ

نَوْمَ الذِّئَابِ يَنَامُ مَنْ عَادَاهُمُ
فَزَّ السَّلِيمِ أَتَاهُ طَيفُ الأَرْقَمِ
لَنْ يَرْتَضِي شِبْلُ لِيَعْرُبَ أَنْ يَرَى
أُخْتاً جَرِيحاً نَزْفُهَا لَمْ يُكْتَمِ
قَدْ أَلْهَبَ الجَلَّادُ كُلَّ أَدِيمِهَا
بِالسَّوْطِ لَمْ يَرْفُقْ بِهَا أَوْ يَشْهَمِ
كَلَّا وَكَيْفَ يَرَى السُّكُوتَ عَزِيمَةً
وَقَمِيصُهَا قَانٍ تَكَلَّلَ بِالدَّمِ !!؟
تِشْرِينُ يَشْهَدُ يَا لَئِيمُ بِأَنَّهُ
نَجْلُ الأُسْدِ فِي الوَغَى لَمْ يُذْمَمِ
أَدْمَى جِرَاحَكَ فَاسْتَكَنْتَ مُرَغَّماً
وَمَضَى إِلَى العَلْيَاءِ غَيْرَ مُرَغَّمِ
هَذِي أَنَا أُخْتٌ لَهُ لَمْ يَثْنِنِي
عَنْ غَايَتِي هَوْلُ العَذَابِ فَأُحْجِمِ

وَأَخي وَأُخْـتي وَابْنَتي وَشَقيقُهـا
كُلٌّ أَتـاهـا في مَضاءِ اللَّهـذَمِ

أَحْجارُنا فَضَحَتْ حَقيقَةَ ضَعْفِكُمْ
إِذْ مَزَّقَتْ قِطَعَ السِّـتارِ المُظْلِـمِ

فَبَدا لِعَيْنِ النّاظِرينَ شُموخُنـا
وَبَدَتْ أَصالَةُ مَنْ إِلَيْهِـمْ نَنْتَـمي

والباطِلُ المَأْفونُ يَزْحَفُ زاهِقـاً
عَنْ صَدْرِنا مِنْ بَعْـدِ طُولِ تَجَثُّـمِ

والخَوفُ تَرْسُمُهُ عَلى قَسَماتِـكُمْ
أَحْجارُ طِفْلٍ جَدُّهُ لَمْ يَسْـهَرِ

آلى يَمينـاً أَنْ يَكونَ مِهـادُهُ
كَفَنـاً لَهُ إِنْ لَمْ تَمُتْ أَوْ تُهْزَمِ



هَذا هُوَ المَوْتُ الرَّهِيبُ لَقَدْ أَتَى
بِأَكُفِّ أَطْفالٍ فُؤادُهُمُ ظَمِي
قَصَدُوا المِياهَ لِيَشْرَبُوا مِنْ عَذْبِها
شُرْبَ ارْتِواءٍ إِنْ أَرَدْتَ وَإِنْ لَمِ
يا لَيْلُ هُمْ فَجْرٌ يَجُرُّ وَراءَهُ . . .
شَمْساً تَشَوَّقَ أَنْ يَراها مَبْسِمِي
هِيَ بَسْمَتِي يا بُؤْسُ مُذْ فارَقْتُها
وَمَرارَةٌ ما بَيْنَ حَلْقِيَ وَالفَمِ



تَشْتاقُ عَيْنِي أَنْ تَراكَ مُرَفْرِفاً
بِسَمائِنا ، عَلَمَ العُرُوبَةِ ، فاسْلَمِ
وَ« اللهُ أَكْبَرُ » كَمْ يَشُوقُ سَماعُها
أُذُنِي مِنَ الأَقْصَى نِداءَ تَرَنُّمِ

سَأَرَى وَأَسْمَعُ كُلَّ ذَلِكَ إِنَّهُ
وَعْدٌ لِسَيْفٍ صَارِمٍ لَمْ يُثْلَمِ
لِلْحَقِّ صِيغَ وَلَمْ يُصَغْ غِمْدٌ لَهُ
فَكَأَنَّهُ أَبَدًا النِّقَمِ
صَافَحْتُ مِقْبَضَهُ لِيَلْثُمَ حَدُّهُ
مَا بَيْنَ جِيدِكَ - ظَالِمِي - وَاللَّهْزَمِ
فَبَرِيقُهُ يَخْبُو إِذَا لَمْ نُسْقِهِ
مِمَّا تَدَفَّقَ فِي وَتِينِكَ مِنْ دَمِ
آنَ الأَوَانُ لِكَيْ أَرَاكَ مُكَبَّلاً
تُصْلِيكَ ثَوْرَتُنَا لَهِيبَ جَهَنَّمِ
كَمْ مَرَّ مِنْ لَيْلٍ عَلَيَّ فَأَمَّهُ
فَجْرٌ فَغَابَ كَأَنَّهُ لَمْ يَجْثُمِ



حلب ٢ تشرين الأول ١٩٨٩ م.

إلى :

كلّ من آمن بمبدأ العروبة

ولم يتأثّر بالسّموم التي ينشرها الغربيّون

لقتل جذورنا .

هِبةُ زُهير

أَبَكَتْ عُيُونُكَ أَنْ خَبَتْ أَضْـواءُ
أَمْ هَـاجَهَا أَنْ نَـاحَتِ الوَرْقَاءُ
أَمْ حَرَّكَ الأَشْجَـانَ رَسْمٌ دَارِسٌ
كَانَتْ بِهِ قَبْلَ النَّوَى أَسْـمَاءُ

قِفْ حَادِيَ الأَظْعَانِ ذِيْ أَطْـلاَلِهَا
عَاشَتْ بِهَا الأَقْدَارُ فَهْيَ خَـوَاءُ
وَاذْرِفْ مَعِيْ دَمْعَ المُتَيَّمِ إِنَّـمَا
صَبُّ المَدَامِعِ لِلْمَشُوْقِ عَزَاءُ
قَدْ كَانَ فِي أُمِّ العَلاَءِ لِخَافِقِي
إِنْ مَسَّهُ بَعْضُ الهُمُوْمِ شِفَـاءُ
كَالشَّمْسِ طَلْعَتُهَا بَهِيٌّ نُوْرُهَا
لَمْ تُؤْتَ مِثْلَ جَمَالِهَا حَسْنَاءُ
فَالوَجْهُ بَدْرٌ وَاللِّحَاظُ كَأَنَّهَا
أَسْيَافُ هِنْدٍ، إِنْ رَنَتْ، حَوْرَاءُ
وَالخَدُّ وَرْدٌ بَعْدُ لَمْ يَرُهُ النَّدَى
وَالثَّغْرُ كَالعُنَّابِ فِيْهِ رُوَاءُ
غَيْدَاءُ قَدْ زَانَ القَلاَئِدَ جِيْدُهَا
فَبَدَا لَهَا زَهْوًا بِـهِ لأْلاَءُ

مازلتُ مُذ بانتْ قتيلَ فراقِها
أبكي وهل يُجدي القتيلَ بكاءُ؟!
وأسيرُ طاوِيًا القفارَ لعلَّني
أسلو عذابي أو يكونُ لقاءُ
تلقى فؤادي بالمخاوف عندما
تغشى نهاري ظُلمةٌ ظلماءُ
ولكم أرتني من جُحُودِ غرابِها
ظِلَّ النخيلِ وماءَها البيداءُ
ريمٌ من البيضِ الأصيلةِ لم تَشُبْ
فيها الأصالةُ رونقٌ وبهاءُ
تمشي على خدِّ الترابِ وخطوها
حلوُ التناغمِ ليس فيه عناءُ
رقصَ المُدرَّبِ ليس تعثرُ رجلُهُ
ملكَ القلوبَ فصفَّقَ الندماءُ

حَتَّى دَنَتْ أُخْرَى حَدِيثٌ سِنُّهَا
هِيَ بِنْتُهَا لَكِنَّهَا رَقْطَاءُ
يُبْدِي الخَلاعَةَ وَالمَيَاعَةَ مَشْيُهَا
لَمْ تَتَّزِنْ فَكَأَنَّهَا عَشْوَاءُ
رَقَصَتْ كَعُصْفُورٍ تَكَسَّرَ جُنْحُهُ
فَوْقَ الرِّمَالِ وَرِجْلُهُ عَرْجَاءُ
- : أُمِّيْ دَعِيْ هٰذِي الرَّزَانَةَ فِي الخُطَى
فَالعَصْرُ قَوَّضَ مَا بَنَى القُدَمَاءُ.
- : يَالَعْنَةَ اللهِ الَّتِي أَنْجَبْتُهَا
أَيُعَابُ فِي البَدْرِ السَّهُوْرِ ضِيَاءُ ؟!
لَمَعَتْ نُيُوْبُ البِنْتِ تَقْصُدُ أُمَّهَا
وَعَلَا الغُبَارُ فَضَجَّتِ الصَّحْرَاءُ
وَمَشَيْتُ نَحْوَكَ لَسْتُ أَعْرِفُ بَعْدَهَا
رَقْطَاؤُهَا غَلَبَتْ أَمِ البَيْضَاءُ

قَدْ جِئْتُ أَسْتَفْتِيكَ فِي رُؤْيَا .. أَمَا
لِرُؤَى الْبَرِيَّةِ يَعْبُرُ الحُكَمَاءُ
أَزُهَيْرُ مَا بَالُ النَّخِيلِ بِأَرْضِنَا
يَغْشَى نَضِيدَ الطَّلْعِ فِيهِ فَنَاءُ؟
وَالنَّجْمُ ضَلَّ طَرِيقَهُ بِسَمَائِنَا
وَالرَّوْضُ لَيْسَ لِزَهْرِهِ إِغْرَاءُ
وَالصَّقْرُ مِنْسَرُهُ يُمَزِّقُ صَدْرَهُ
وَالْخَيْلُ جُلُّ نِتَاجِهَا هُجَنَاءُ
قَدْ جَفَّتِ الْوَاحَاتُ فِي صَحْرَائِنَا
أَضَيْعٌ بِنَا إِنْ ضَلَّتِ الْعُلَمَاءُ
جَعَلُوكَ مَيْتاً فِي ضَمَائِرِ جِيلِنَا
كَي لَا تَرَى مَا يَنْشُرُ الخُبَثَاءُ
فَانْطِقْ وَدَافِعْ عَنْ حَقِيقَتِكَ الَّتِي
مَا زَالَ يَسْتَهْدِي بِهَا الأَبْنَاءُ

أوَلَمْ تقُلْ مَنْ لَمْ يَذُدْ عَنْ حَوْضِهِ
بسلاحِهِ سَيَدُكُّهُ الجُبَناءُ
هَدَمَتْ حَوَافِرُهُمْ جِدَارَكَ فَانْتَفِضْ
عَجَبًا صَمَتَّ ألَيْسَ فِيكَ إِبَاءُ
هَبْ لِيْ القَوَافِي إِنْ عَجِزْتَ فَإِنَّنِي
حَيٌّ وَأنْتَ تَضُمُّكَ الغَبْرَاءُ
لِيْ رَغْبَةٌ فِي أَنْ أَقُولَ لِأُمَّتِي:
هَذِي القُشُورُ رَمَى بِهَا الأَعْدَاءُ
قَتْلاً لِخَيْرٍ فِي القُلُوبِ بُذُورُهُ
قَدْ أُنْتِشَتْ وَالخَيْرُ فِيهِ نَمَاءُ
فَلَهُمْ مَصَالِحُ سَوْفَ تَفْنَى إِنْ يَقُمْ
لِحَضَارَةٍ فِي ذِي البِلَادِ بِنَاءُ
أَوَلَمْ يَدُسْ « غُورُو » عَلَى أَرْضٍ بِهَا
يَثْوِي صَلَاحُ الدِّينِ كَيْفَ يَشَاءُ

أَوَلَمْ يَقُلْ : هَا نَحْنُ عُدْنَا فَلْتَقُمْ
إِنْ كَانَ فِيكَ لِذِي الْبِلادِ وَفَاءُ
أَتُرَاهُمُ قَدْ حَوَّلُوا أَنْظَارَهُمْ
عَنْ غَزْوِنَا وَتَجَدَّدَتْ آرَاءُ..؟
أَمْ أَلْبَسُوا غَزْوًا قِنَاعَ حَضَارَةٍ
إِنْ كَانَ ذَلِكَ إِنَّهُ لَبَلاءُ
مَا بَالُنَا نَهْلَكْ لِكُلِّ طِبَاعِهِمْ
أَوَلَيْسَ فِي فِكْرِ الْجُدُودِ نَقَاءُ
كَمْ مِنْ نَبَاتٍ قَدْ تَسَلَّقَ غَيْرَهُ
كَيْمَا يَجِيءَ إِلَيْهِ مِنْهُ غِذَاءُ
فَزَهَى فَقَاطَعَ أَصْلَهُ لَمَّا عَلا
فَمَصِيرُهُ بَعْدَ الْيَبَاسِ هَبَاءُ
لا خَيْرَ فِينَا إِنْ تَخَلَّى جِيلُنَا
عَمَّا بَنَى الأَجْدَادُ وَالآبَاءُ

يُغني صُمودُ السِّنديانِ على الذُّرا
أعتى الرِّياحِ، فَفي الجُذورِ إباءُ
فإذا تخلّتْ ساقُهُ عنْ جذرِهِ
ترميهِ كِبًّا في الحَضيضِ صَباءُ

حلب ٢ تشرين الثاني ١٩٨٩م.



زيف الحضارة

اتُّهِمتُ بمحاربة الحضارة وبالدعوة إلى التخلف
في قصيدتي « هبة زهير » فأجبت:

تَمَهَّلْ أيُّهَا القَاضِي وَكُنْ بي
رَؤُوفاً، إنَّهُ طَيْشُ الشَّبابِ

وَهَاتِ الكَأْسَ نَشْرَبُهَا سَوِيًّا
وَنَجْلِسُ لِلشُّرُورِ بِكُلِّ بَابِ
وَنَقْذِفُ بِالمَبَادِئِ مَاحَيِينَا
وَنَكْفُرُ بِالقَوَارِعِ وَالحِسَابِ
لِكَيْ تَلِجَ الحَضَارَةُ فِي بِلَادِي
وَيَعْلُو صَرْحُهَا فَوْقَ السَّحَابِ
فَقَدْ مَصَّتْ مَبَادِئُنَا قُوَانَا
وَفَرَّقَ جَمْعَنَا أَخْذُ الكِتَابِ
فَأَصْبَحَ بَعْضُنَا فِي أَرْضِ كِسْرَى
وَأَنْدَلُسٍ وَبَعْضٌ فِي الشِّعَابِ
وَعِنْدَ الصِّينِ وَأَفْرَنْسَا جُمُوعٌ
وَفِي كُلِّ البِطَاحِ وَفِي الرَّوَابِي
وَلَوْ وَجَدُوا لِأَنْجُمِهَا سَبِيلاً
لَجَازُوهَا وَذَا دُونَ الطِّلَابِ

فَإِنْ وُقِفَ البُكَاءُ عَلَى مُحِبٍّ
لَدَى الأَطْلَالِ مِنْ بَعْدِ اغْتِرَابِ
فَمَا تُبْقِي لِمَنْ يَبْكِي رِجَالاً
بِفِكْرِهِمُ زَهَتْ كُلُّ الرِّحَابِ
أَتَعْذِرُ ذَا وَحِبَّتُهُ سُلَيْمَى
وَلَوْ مَا بِي وَهُمْ ضَوْءُ الشِّهَابِ
بَكَيْتُ حَضَارَةً لَهُمُ فَلَمَّا
رَأَيْتُ بِنَاءَنَا زَادَ انْتِحَابِي
فَعُذْراً أَيُّهَا القَاضِي فَأَنْتُمْ
أَرَدْتُمْ أَنْ نَسِيرَ إِلَى الخَرَابِ
وَسَمْتُمْ بِالتَّخَلُّفِ مَنْ أَنَارُوا
ظَلَامَ الفِكْرِ مَنْ هُمْ كَالكِتَابِ
تَخَلَّفَ أَهْلُنَا فَبَنُوا بِلَاداً
وَعِلْمَاً لَا يَؤُولُ إِلَى ذَهَابِ

فيا أهلَ الحضارةِ ما بنيتُم؟
صواريخاً تُبيدُ بلا حسابِ
تُدمّرُ كلّ حاضرةٍ وقفرٍ
تَسُمُّ البحرَ تحرقُ كلّ غابِ
حضارتكم ذئابٌ بل تعالتْ
على مقصودِكُم أضرى الذّئابِ
حضارتكُم سهامٌ في حشايا
كرامتِنا وسيفٌ في الرّقابِ
حضارتُكمْ تُبيدُ الرُّوحَ فينا
وتجعلُ حُبّنا صِنوَ السّرابِ
حضارتُكم تخبُّطُ مستبيحٍ
لجسمِ الطُّهرِ فرَّ منَ العِقابِ
حضارتُكمْ تمزّقُ كُلّ حُرٍّ
وتجْعلُ أنفَهُ تحتَ التُّرابِ

حَضَارَتُكُمْ حَضِيرَتُكُمْ وَفِيهَا
يُرَاقُ العِرْضُ مِنْ دَنِّ الشَّرَابِ
حَضَارَتُكُمْ قُشُورٌ دُونَ لُبٍّ
أَيُعْطَى القِشْرُ إِلَّا لِلدَّوَابِ ؟!



وَسَمْتُمْ بِالتَّخَلُّفِ مَنْ أَنَارُوا
ظَلَامَ الفِكْرِ مَنْ هُمْ كَالكِتَابِ
نُحَدِّقُ فِي تَخَلُّفِهِمْ وَقُلْ لِي
وَأَنْتَ العَدْلُ فِي صَوْتِ الغُرَابِ
أَكَانَ ابْنُ النَّفِيسِ يَعُبُّ خَمْرًا ،
أَوِ الفَرَّاءُ مَاعَ مِنَ التَّصَابِي
وَهَلْ سَهِرَ ابْنُ سِينَا فِي المَلَاهِي
أَوِ الرَّازِيُّ سَارَ بِلَا ثِيَابِ

وَهَلْ رَقَصَ الفَرَاهِيدِيُّ «دِسْكو»
أَوِ الطَّبَرِيُّ صَاحَ أَبَاهُ «پاپي»
تَخَلُّفُ هؤُلاءِ أَحَبُّ مِمَّا
بِهِ نادَيْتَ.. بُعْدًا لِلنُّعَابِ
فَحَارِبْ مَا اسْتَطَعْتَ عُيُونَ شِعْرِي
وَقِفْ لِرِسَالَتِي فِي كُلِّ بَابِ
فَلَنْ أَنْضَمَّ تَحْتَ لِوَاكَ يَوْمًا
فَأَرْضَى الزَّيْغَ عَنْ دَرْبِ الصَّوَابِ
(تَمُوتُ الأُسْدُ فِي البَيْدَاءِ جُوعًا
وَتَعْفُو فِي العَرَاءِ عَلَى التُّرَابِ)
وَلَا تَرْضَى النُّبَاحَ بَدِيلَ زَأْرٍ
وَلَا بِعَرِينِهَا بَيْتَ الكِلَابِ

البادية آذار ١٩٩٠م.



طلاسم الربيع

بَكَتِ السَّمَاءُ وَأَرْضُنَا ضَحِكَتْ لَهَا
فَتَعَدَّدَتْ وَزَهَتْ بِهَا الأَلْوَانُ
قَدْ أَسْعَدَ الدُّنيا قُدُومُ رَبِيعِهَا
فَالكُلُّ فِي أَفْرَاحِهِ نَشْوَانُ

إلّا عُيونًا لمْ تمَلّ بُكاءَها
فوْقَ الطُّلولِ ومَا بنى الغِربانُ
يا ظبْيةَ البيْداءِ فلْتتهلّلي
بُشْرى الرَّبيعِ أتى بِهَا نيْسانُ
أوَلا تَريْنَ النّهْرَ صفّقَ ضاحكًا
والزّهْرَ يرْقُصُ إذْ شَدَا الكَرَوانُ



فتبسّمَتْ والثّغْرُ يقطِرُ علقمًا
ومضتْ تُسبْسِبُ دمْعَها الأجْفانُ
قالتْ : أتعْرِفُ ما رَبيعُ دِيارِنا
أمْ كُنتَ تحْسَبُ أنّهُ الرّيْحانُ
مازالَ يبْكي هجْرَ ليْلى قيْسُنا
ويرُومُ ذُلّ شآمِنا النُّعْمانُ

وَالوَرْدُ يَذْبلُ حِينَ يَشْعُرُ أَنَّهُ
بَاهَى سِوَاهُ بِحُسْنِهِ البُسْتَانُ
ويود أن يَنْهَارَ رُكْنُ جِدَارِنَا
إنْ يَسْتَفِدْ مِنْ ظِلِّهِ الجِيرَانُ
طِفْلٌ تَفَطَّرَ قَلْبُهُ عَطَشًا فَمَا
جَادَتْ بِبَعْضِ دِمَائِهَا الأَبْدَانُ
تِشْرِينُ غَادَرَهُ فَغَابَ رَبِيعُهُ
مَا زَالَ يَصْرُخُ ... إِنَّهُ نَيْسَانُ



أَكْفَانُنَا الحَمْرَاءُ مِلْءُ قُبُورِنَا
هَلْ تَسْتَعِيدُ بَيَاضَهَا الأَكْفَانُ
نَحْنُ التَّتَارُ نُرِيدُ حَرْقَ تُرَاثِنَا
لِيَلَذَّ فِي أَعْمَاقِنَا الحَيَوَانُ

آمُونُ لا يُرْضَى وَلا عَشْتَارُ إِنْ
يَكُ بَيْنَنَا زُهَّادُ أَوْ رُهْبَانُ
هَيْهَاتَ أَنْ يَصِلَ المَعَالِي طَالَمَا
عَبَدَ الغَرَائِزَ وَالهَوَى إِنْسَانُ



أَوَكُنْتَ تَحْسَبُ أَنْ سَيَرْفَعَ رَايَةً
لِلْحَقِّ مَنْ في طَبْعِهِمْ خِذْلانُ
يَهْوِي العُقَابُ لِنَذْلٍ مِنْ عَلْيَائِهِ
لِيَنَالَ أَجْيَافَ بِهَا إِنْتَانُ
وَيَبِيعُ لِلثُّعْبَانِ سِرَّ جَنَاحِهِ
غَدْرًا لِيَنْهَشَ أُمَّهُ الثُّعْبَانُ
لا لَنْ نَقُودَ النَّاسَ مِثْلَ جُدُودِنَا
مَا دَامَ بَيْنَ صُقُورِنَا عُقْبَانُ

وَيُمَرِّغُ الكَلْبُ الخَسِيسُ جَبِينَهُ
فِي دِمْنَةِ الخِنْزِيرِ حَيْثُ يُهَانُ
تَحْتَ الحَوَافِرِ رَاحَ يَسْجُدُ صَاغِرًا
كَيْ يُوقِنُوا مِنْ أَنَّـهُ الإِذْعَانُ
فَيُنَوِّلُوهُ مِنَ التُّرَابِ حُفَيْنَةً
بِئْسَ التِّجَارَةُ رِبْحُهَا خُسْرَانُ
أَتُرَاهُ يَطْمَعُ أَنْ يَصِيرَ أَمِيرَهَا
وَجَمِيعُ مَنْ فِيهَا لَهُ أَعْوَانُ
لا لَنْ يَصِيرَ النَّعْلُ تَاجًا أَوْ يَقُو
دَ رِقَابَ آسَادِ الفَلاةِ جَبَانُ



وَتُرِيدُ مِنِّي أَنْ أُكَفْكِفَ عَبْرَتِي
وَجِرَاحُ قَوْمِي مَلَّهَا لُقْمَانُ

أَتُرَحِّبُ الأَفْعَى بِكُلِّ مُهَاجِرٍ
إِلَّا بَنِيهَا ؟ ذَلِكَ الْبُهْتَانُ
وَتَقُولُ حَسْبُكَ بِالضَّمِيرِ مُحَاسِبًا
قُلْنَا الضَّمِيرُ .. فَمَالَهُ لُبْنَانُ
مِلْيُونُ أَرْقَمَ مِنْ ضَمِيرِهِمُ أَتَى
أَتُرَى سَيَبْكِي قُدْسَنَا الجُولَانُ؟



وَمَضَى يُجَنِّدُ مَا يَرَى مِنْ آفَةٍ
كَيْ لَا يَدُوسَ تُرَابَنَا إِنْسَانُ
وَلَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالحَضَارَةِ مِنْهُمُ
كُنَّا وَتَذْكُرُ فِعْلَنَا الأَزْمَانُ
وَإِذَا نَسِينَا أَوْ نَسُوا فَأَمَامَنَا
مَثَلٌ يُجَدِّدُ مَا مَحَا النِّسْيَانُ

فَالشُّمْسُ مَازَالَتْ تَجِيءُ إِلَيْهِمُ
مِنْ عِنْدِنَا .. لَوْ تَفْكُرُ الأَذْهَانُ



وَرَنَتْ إِلَيَّ بِحَسْرَةٍ ثُمَّ اخْتَفَتْ
فَعَجِبْتُ هَلْ هِيَ مِثْلُنَا أَمْ جَانُ
فَأَتَى لِيَمْحُوَ دَهْشَتِي مِنْ أَمْرِهَا
صَوْتٌ يُجَلْجِلُ فِي الفَضَا رَنَّانُ
إِنَّ الرَّبِيعَ إِذَا أَرَدْتَ قُدُومَهُ
حُلَّ الطَّلاسِمَ يَنْجَلِ العُنْوَانُ
وَاقْرَأْ أَصَلاحَ الدِّينِ وَاقْرَأْ طَارِقًا
وَابْنَ الْوَلِيدِ فَفِيهِمُ البُرْهَانُ
وَاسْتَجْلِ سِيمَاهُمْ وَقَارِنْ لَيْلَهُمْ
بِاللَّيْلِ عِنْدَكَ يُكْشَفُ المَيْدَانُ
سِرُّ الرَّبِيعِ تَرَاهُ عَيْنُكَ عِنْدَهَا
قَدْ جَلَّ لَيْسَ يُحِيطُهُ الكِتْمَانُ

الميادين آذار ١٩٩٠ م.

إلى :

لكلّ عينٍ تفجّر دمعتها المواقف الإنسانيّة

ترنيمات وتر

أنا لم أزلْ وترًا بقيثارِ الهوى
أشدو إذا ما نُوغي القيثارُ
يأسو أنيني جُرحَ كُلِّ معذبٍ
وأمام جُرحي تذهلُ الأوتارُ

نغمُ التأوّهِ في شفاهِ مدامعي
صوتُ الحياةِ ترومُهُ الأقدارُ
هيهاتَ يبسمُ من إذا رامَ البكا
ضنّتْ عليهِ بدمعهِ الأطوارُ
أنا صرخةٌ في صدرِ أبكمَ ليسَ لي
أملٌ فأحيا أو أموتَ قرارُ
مأساةُ عمري في القوافي صورةٌ
أوّاهُ لو تستنطقُ الأسطارُ
مليونُ جرحٍ إنْ عييتُ تكلّمتْ
نضجُ الشعورِ يكونُ حيثُ النارُ
لولا المآسي ما رأيتمْ شاعراً
فالحزنُ بحرٌ دُرُّهُ الأشعارُ



الميادين ١٩٨٩م.

مَنْ أُعاتِب ؟

يا دهرُ هل أبقيتَ في آماقي
دمعاً لِبَيْنٍ أو ليومِ تلاقِ

أَوَ كُلُّ يومٍ طعنةٌ في خافقي
غضبى تعالى فوقَ عزمِ الرّاقي

لو بعضُ ما أنزلتَ بي أنزلتَهُ
بالشّمسِ ما قدرتْ على إشراقِ

أنا لم أعُدْ أدري لنفسي موضعاً
أنا ضائعٌ حتّى على أوراقي

لم يبقَ مِنْ عُمْري سوى النّفسِ الذي
بينَ الجراحِ وحُرقةِ الأشواقِ

حتّى أتيتَ الآنَ بالجرحِ الذي
قدْ لفَّ مشنقةً على خفّاقي

يا دهرُ لوْ أنصفتَ كنتُ أنا الذي
لبسَ العقوقَ وشاكَ كفَّ السّاقي

يا صرخةً قدْ طالَ كتماني لها
هذا أوانُ تزلْزُلِ الآفاقِ

فتزلزلي.. وتزلزلي.. وتزلزلي
فالموتُ خيرٌ منْ لظى الإملاقِ

والنّارُ أرحمُ منْ جنانٍ حُرّمتْ
ثمراتها والجوعُ في أعماقي

والطّودُ يثبتُ للرّياحِ فإنْ طغى
ماءٌ عليهِ فليسَ بالعملاقِ

حمص ١٩ / ٧ / ١٩٩١ م.



إِجْلِسْ أَبِيَ فَلَقَدْ أَطَلْتَ فِرَاقِي
فَأَذَلَّ شَوْقِي أَدْمُعَ الآمَاقِ
وَحَزِنْتُ أَنْ سَافَرْتَ عَنِّي مُسْرِعًا
فَاشْتَدَّ وَهْجُ الجَمْرِ فِي أَحْدَاقِي
إِجْلِسْ مَعِي وَامْسَحْ عَلَى شَعْرِي وَدَعْ
شَفَتَيْكَ تُسْعِفُ وَجْنَتِي بِعِنَاقِ
وَأَصَابِعِي دَعْهَا تُسَافِرُ حُرَّةً
فِي لَيْلِ شَعْرِكَ نَشْوَةَ المُشْتَاقِ

هَيَا لِتُكْمِلَ قِصَّةَ الصَّيَّادِ لِي
قَادَ الغَزَالَةَ خَلْفَهُ بِوَثَاقِ
فَاسْتَرْحَمَتْهُ لِكَيْ تُرْضِعَ طِفْلَهَا
رَضْعَ الوَدَاعِ فَمَنَّ بِالإِطْلَاقِ
عَجَبَاً لِمَنْ يَعْتَادُ إِهْرَاقَ الدِّمَا
لِدَى العَطَاءِ يُحِسُّ بِالإِشْفَاقِ
أَتُرَى تَعُودُ لِكَيْ تَكُونَ ذَبِيحَةً
بَعْدَ النَّجَاةِ وَفَوْزِهَا بِتَلَاقِ
أَوَيُدْرِكُ الحَيْوَانُ قِيمَةَ عَهْدِهِ
لِيَمُوتَ دُونَ النَّكْثِ بِالمِيْثَاقِ
- سَأَعُودُ فَوْرَاً يَا ابْنَتِي فَتَصَبَّرِي
إِنِّي طَبِيبٌ لِلمُعَذَّبِ رَاقِ
لَحَظَاتُ عُمْرِي مُلْكُ إِنْسَانٍ ثَوَى
فَوْقَ الفِرَاشِ مُرَعَّشُ الخَفَّاقِ

يَرْنُو لَهُ الأَصْحَابُ مَا لِعَذَابِهِ
حَدٌّ .. وَمَا قَدَرُوا عَلَى الإِعْتَاقِ
ذَلَّتْ رُجُولَتُهُ لِفَرْطِ عَذَابِهِ
فَمَضَى يَجُودُ بِدَمْعِهِ المُهْرَاقِ
وَيَئِنُّ .. يَدْعُو اللهَ: هَلْ مِنْ رَحْمَةٍ
هَلْ مِنْ طَبِيبٍ لِي وَمِنْ تِرْيَاقِ
أَنَا رَحْمَةٌ يَا بِنْتُ أَمْسَحُ دَمْعَهُ
أُحْيِيهِ نَفْسًا دُونَ لَفِّ السَّاقِ
سَأَعُودُ حِينَ تَعُودُ فِيهِ حَيَاتُهُ
وَالرُّوحُ فِي أَمْنٍ مِنَ الإِزْهَاقِ



لَا .. لَا أُرِيدُ المَاءَ إِنِّي صَائِمٌ
بَلْ صُبَّهُ فَوْقَ الدِّمَاءِ أُسَاقِ

ضَمِّدْ جِراحِيَ .. لا فإنِّي مَيِّتٌ
فَرَصَاصُهُ في القلبِ .. في الأَعْماقِ
خُذْ مِنْ يَدِيَ هٰذا الدَّواءَ وَطِرْ بِهِ
نحوَ المريضِ على جَناحِ بُراقِ
سَيَمُوتُ إِنْ لمْ تُسْعِفُوهُ بجُرْعَةٍ
أَنْتُمْ إليْهِ مَعَ القضا بِسِباقِ
صَيّادَ قَلْبي هل قَصَدْتَ إصابتي
أَمْ أَنَّهُ خَطَأٌ لَدى الإطْلاقِ
مَنْ أَنْتَ ؟ قُلْ .. ، أنا ما رأيتُكَ سابقًا
هل كُنْتَ حَقًّا قاصِدًا خَفَّاقي ؟
لا لا أَظُنُّ ، فما فعلتُ جَريرَةً
بَلْ كُنْتُ أَسْمُو عَنْ جميعِ شِقاقِ
كَلّا ولا سَهَرُ النَّوادي خلّتي
والخَوْضُ وَسْطَ مَعامِعِ الأَسْواقِ

هَلْ جِئْتَنِي يَوْمًا لِأُسْعِفَ مُدْنَفًا
فَرَأَيْتَنِي أَعْتَلُّ بِالْإِرْهَاقِ؟

قَدْ كُنْتُ أَذْهَبُ لِلْمَرِيضِ إِذَا دَعَا
نِي مَاشِيًا فِي لَيْلِهِ الْغَسَّاقِ

كَمْ مِنْ صَغِيرٍ ذُدْتُ عَنْ دَمَعَاتِهِ
فَمَنَعْتُ يُتْمًا أَنْ يُهِينَ مَآقِ

أَمْضَيْتُ عُمْرِيَ كَيْ أُضِيءَ بِبَلْدَتِي
شَمْعَ الْحَيَاةِ بِقَبْسَةِ الْإِغْدَاقِ

إِنِّي عَرَفْتُكَ، ذَاكَ ثَأْرُ قَبِيلَتِي
قُولُوا لِرَصَاصِ بِجُرْحِيَ الرَّقْرَاقِ

كَمْ مِنْ مَرِيضٍ قَدْ قَصَمْتَ صِغَارَهُ
يُتْمًا، وَمَا شَبُّوا عَنِ الْأَطْوَاقِ

فَلْتَأْخُذُوا هَذَا الْحَلِيبَ لِطِفْلَتِي
لَا تَمْسَحُوا دَمَعَاتِهَا أَرْفَاقِي

قُولُوا لَهَا إِنِّي كَذَبْتُ عَلَيكِ مَا
في بَلْدَتِي حُبٌّ عَلَى الإِطْلاقِ
قُولُوا لَهَا إِنَّ الفُرَاتَ يَسِيلُ مِنْ
أَنْيَابِ أَفْعَى خَلْفَ ذِي الآفَاقِ
قُولُوا لَهَا مَا هَفْهَفَتْ رِيحُ الصَّبَا
إِلَّا لِقَطْعِ النَّوْرِ .. وَالأَوْرَاقِ
قُولُوا لَهَا مَا احْمَرَّ جُورِيٌّ عَلَى
أَغْصَانِهِ خَجَلاً مِنَ العُشَّاقِ
بَلْ نَزْفُ مَظْلُومٍ تَفَجَّرَ جُرْحُهُ
وَرْداً تَفَتَّحَ لَحْظَةَ الإِهْرَاقِ
قُولُوا لَهَا مَا ابْيَضَّ زَهْرُ اليَاسَمِيـ
ـنِ لأَنَّهُ عَنْ كُلِّ حِقْدٍ رَاقِ
لَكِنَّهُ خَطَفَ الدِّمَا مِنْ وَجْهِهِ
خَوْفُ النِّصَالِ تَغُوصُ فِي الأَعْنَاقِ

قولوا لها إنّ الغزالة كذبةٌ
لم يلتقِ الصيّادُ بالإشفاقِ

أسفي على بلدٍ ليضحكَ شوكُهُ
جعلَ الزهورَ ضحيّةَ الإحراقِ

قد كنتَ شمساً كادَ يغمرُ نورُها
بلدي فما لظلامِهِ من باقِ

لكنّها انطفأت بطعنةِ جاحدٍ
فهوتْ قبيلَ تكاملِ الإشراقِ

حاربتَ داءَ الجسمِ فينا لم تكنْ
تدري بداءِ الفكرِ والأخلاقِ

الميادين ١٨ / ٤ / ١٩٩١ م.



الفهرس

وأنا.. أنا البستان بعدكِ أنهري
غارت ونارك أحرقت نخلاتي

فتجاهلت أفقي الطّيور ولم يعد
ذاكَ الفراش يرفّ في واحاتي

إلاّكِ أنت بكلّ حلمٍ دامعٍ
ورنين ذكرى يزرع الآهات

تتغلغلين كخنجرٍ في أضلعي
حلو الحسيس محبّب الطّعنات

من خاض قبلي الجرح يلثم خنجراً
في صدره ويقول: «أنت حياتي»

يا نفحة الرّوح التي فارقتني
أنا لم أمت.. وهنا.. هنا مأساتي